Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عليها ثقل عليه الزائد لأنه يكون عند وصولها إلى مقدار الأولى كمن توقع الظفر بمقصوده من فهم المراد له ولم يجده أمامه".[1] ويضع ابن الأثير تبريرًا أبعد غورًا يُفْهَمُ منه أن "الاعتدال" المصاحب لتساوى الأطوال هو الأساس الذى حَكَمَ منطقه فى ترتيب تساوى أطوال العبارات المسجوعة على سلّم القيمة.

والواقع أن الحكم الذى أصدره القدامى فى هذا الصدد يعود إلى تقدير زائد للإيقاع بوصفه قيمة جمالية لها ارتباط بِنَفْس الإنسان التى تميل ميلا غريزيًا إلى الاتساق والهارمونية. ويبدو أن رؤية القدامى فى مسألة السجع المتساوى الأطوال كانت مواكبة لروح عصر كان فيه الإيقاع هو مدار البحث البلاغى حتى إن قدامة بن جعفر قد ذكر عددًا من المباحث تدور كلها حول تحقيق الإيقاع الزمانى والمكانى فى العمل الأدبى وقد أجمل هذه المباحث مصدِّرًا إياها بعبارة "أحسن البلاغة".[2]

وفى كل من القالبين: الثانى والثالث، يضبط ابن الأثير جماليات التفاوت المحسوب بين العبارتين المسجوعتين من حيث الطول.

فبالنسبة للقالب الثانى: يرى "ابن الأثير" أن السجعتين إذا لم تكونا متساويتين فى الطول فيلزم أن تكون السجعة الثانية –فى الوحدة المكوّنة من فقرتين– أطول قليلا من الأولى. والظاهر أن ابن الأثير كان يحذو حذو العسكرى فى ذلك.[3] لكنه –على خلاف العسكرى– كان يضع شرطًا للتفاوت فى الطول، فحسبما يرى لا يكون ذلك القالب مقبولا إلا إذا كان طول السجعة الثانية غير مخلّ بالاعتدال أى: "أن يكون الفصل الثانى أطول من الأول، لا طولا يخرج به عن

---

(١) عروس الأفراح، السبكى، جـ٤، ص٤٤٩.

(٢) نص كلامه هو: "وأحسن البلاغة: الترصيع والسجع، واتساق البناء، واعتدال الوزن، واشتقاق لفظ من لفظ، وعكس ما نظم من بناء، وتلخيص العبارة بألفاظ مستعارة، وإيراد الأقسام موفورة بالتمام، وتصحيح المقابلة بمعان متعادلة، وصحة التقسيم باتفاق المنظوم، وتلخيص الأوصاف بنفى الخلاف، والمبالغة فى الوصف بتكرير الوصف، وتكافؤ المعانى فى المقابلة والتوازى، وإرداف اللواحق وتمثيل المعانى". جواهر الألفاظ، قدامة بن جعفر، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، الخانجى، القاهرة، ١٩٣٢، ص٣.

(٣) انظر: الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكرى، ص ٢٨٩.